الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحابته أجمعين

مدخل

إن الإنسانية في العلوم تطورت، ولكن في إسعاد بني جلدته تأخرت. قطعت مسافات شاسعة في تحليل المادة، ولكن عميت وضلت في الكشف عن أبسط مظهر من مظاهر الروح والمعنى. اخترعت آلات عجيبة وركبت أجهزة دقيقة، ولكن غفلت وجهلت في الوصول إلى أي جزء من الحقائق الروحية الناصعة. صعدت إلى أراضي القمر السامقة ولكن تدهورت في الجانب الآخر فوق كوكبنا الذي نعيش عليه إلى حيث اتخذته لها مراكز فخمة للاغتيال والانتحار... فبمخترعاتها بطرت، وبمنجزاتها أشرت، ولكن غالبها صار لها حبوب وباء ووبار، وأدوات فتك ودمار... كلما ظهر لها من جانب تقدمها في ميادين العلم والمعرفة بدا من الجانب الآخر مدى نكرانها لإنسانيتها وكلما ازداد وسائل وإمكانيات الرخاء والرفاهية لديها ازداد بعدها عن هويتها وسعادتها وتحقق قربها من شقائها ومهانتها... وكلما ظن أنه ازداد علمها بمجاري الحياة ازداد غلوها في التفكير الأرعن والتفلسف الأخرق. كل هذا يحمل دلالات واسعة على أن أكفان الإنسانية خيطت و حنوطها[1] جهزت ولكن هل من مدكر؟ فسوف يعلمون!

---

١) كل طيب يخلط للميت.

بعض العقلاء فهم هذه العاقبة المردية المخزية مذ أمد طويل ودق جرس الخطر على رؤوس الأشهاد منذ زمن غير قليل وقال أنا النذير العريان ، فصرف جهودا لا يستهان بها في سبيل إفاقة الإنسانية وإعادة رشدها ولكن يبدو أن الكل ذهب أدراج الرياح[1] ، وما اهتم بتلك الجهود سوى قلة لا يؤبه لها. إن ذلك البعض أدى واجبا آخر بما أنه وضع أمام الإنسانية فاتورتها الدرامية المليئة بأرقام الخسائر الدهشة والمذكور فيها ما ينتظرها من ريح صرصر في يوم نحس مستمر. ولكن أنى لهم الذكرى؟

إذا بحثنا عما في جعبة الذاكرة الإنسانية فوجهتنا إلى ما قبل مبعث النبوة رأينا بصورة مذهلة أن التاريخ بدأ يكرر نفسه من جديد في القرن العشرين وما بعده بغير اعتبار واستبصار: عم الظلام الآفاق، وغلب الفساد الأجواء، نجم الظلم واللأواء[2]، وخفي العدل والسراء، انتفى الخير والبر وظهر الغي والشر، طمس معالم الهدى والتقى، وبرز آثار الضلالة والهوى، جفت منابع الرأفة والرحمة، وفاضت أخاديد الوحشة والقسوة، حسن القبيح وقبح الحسن، صار الخير والبر يذم، والشر والسوء يكرم، صار اسم النفاق سياسة والتملق مداراة والتذلل تحببا، لقبت الحقائق بأسماء أضدادها، ولبس الثعالب جلود الأسود، وبرزت القردة في مسوح الصالحين. ترى الكثير منهم ذئابا، أخفوا أمرهم

---

١) أي ذهب عبثا.

٢) نجم : ظهر؛ اللأواء: الشدة.

بلبسهم ثيابا، فانقلب الأمر رأسا لعقب: اشتهر الأراذل وخمل الأفاضل. سيطر الفساق والخونة وغلب على أمر الأعفاء والأمنة. صار أسعد الناس لكع بن لكع[1]، وصار المؤمن أذل من شاته! انتعش الشرك في أرذل مظاهره، واختفى التوحيد بغالب معالمه، فدب الشرك إلى العقول والقلوب ولكن من حيث لا يشعرون. زلزلت العقائد في الصدور، زحزح اليقين عن النفوس، تلوثت الأحاسيس، وتدنست المشاعر، تقذرت الأفكار، وتوسخت التصاوير، صارت الدنيا كمزبلة عظيمة ومجزرة لئيمة ترى على حافاتها من جثث الناس الأكوام ارتفعت من هنا وهناك كالآكام وصار الكوكب الأرضي كأنه مسرح كبير يعبث فيه الصغير والكبير تعرض فيه أجناس الفسق وأنواع الدعارات بفاضح الوقاحة وفائق المهارات، وتترنم في جميع جوانبه معازف الفجور والخلاعة على معاني الفسوق والشناعة. لم يبق فيه ولا مزعة[2] طاهرة فإنا لله وإنا إليه راجعون!

فالإنسانية محتاجة إلى نور وبرهان ومشتاقة إلى دليل وفرقان، تنتظر من يغيثها ويأخذ بيدها كي يمسك بها إلى سواحل السلامة، وينقذها من لجج الضلالة، تتوقع بلهف وحسرة من تتمسك بأذياله كي يخرجها إلى شواطئ الأمن والعافية. وذلكم لا يتيسر إلا بشعاع من نور الوحي وضياء من مشكاة النبوة، كما تكرر ذلك عبر التاريخ كلما

---

١) اللكع على وزن عمر: اللئيم.

٢) المزعة: القطعة من اللحم. والمراد هنا القطعة فقط على سبيل التجريد.

وقعت الإنسانية في مثل تلك المهاوي التي وقعت فيها اليوم. وحيث إن باب النبوة أغلق ببعثة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم إغلاقا لا يفتح إلى يوم القيمة فلا يتسنى إرسال نبي بعده أبدا، ولا مجال لانتظار نبوة جديدة أبدا، فلا يرى أمام الإنسانية إلا خيار واحد فقط أن يرجعوا إلى دين الله الحنيف. ونرى ونأمل أن الله سبحانه سيرحم هذه الإنسانية التعسة الشقية ببعثة الإسلام من جديد مرة أخرى - حيث لا يبعث نبي آخر- بعثة تقوم ما اعوج، وتصلح ما فسد، وتحسن ما حسن، وتقبح ما قبح، وتعلم ما جهل، وتطهر ما وسخ، وترفع ما وضع، وتظهر ما خفي من ملامح الخير والهدى، وتخفي ما ظهر من معالم الشر والهوى وترد جميع الأمور إلى نصابها فالناس اليوم أحوج ما كانوا إلى رحمة منه سبحانه تنقذهم من هذه المهاوي السحيقة والمهالك العميقة.

فلذا ترى الناس في هذه الآونة الأخيرة كثيرا ما يرددون في كتاباتهم وخطاباتهم كلمة "الحضارة الإسلامية" فيذكر البعض شيئا من محاسنها المتحققة فيما سلف من الزمن، والبعض الآخر يحاول أن يصوغ القضية في قالب علمي أكاديمي فيذكر كيانها ومداخلها ومخارجها حسب منهج علمي مدروس، وترى البعض الآخر أنه إلى جانب إفراغه القضية في قالب علمي يحاول أن يسلط شيئا من الضوء على بعض من الاستعدادات الحضارية للمسلمين أي يشرح بعضا من المسائل المتعلقة باستعداد المسلمين لتأسيس حضارتهم من جديد بين ربوع العالم.

إلى جانب تلك المؤلفات المستقلة عن الحضارة الإسلامية الزاخرة التي تعج بها الساحة سواء منها ما كتب باللغة العربية أو باللغات الأخرى. فكثير من المفكرين والمؤلفين والكتاب أدلى في الموضوع بدلوه لما يجد من حاجة هذا العالم البائس الماسة الشديدة إلى نوعية جديدة من الحضارة التي سنكتب مواصفاتها إن شاء الله.

ويجدر بنا هنا أن ننوه بكتاب **أطلس الحضارة الإسلامية لإسماعيل فاروقي** وزوجته رحمهما الله رحمة واسعة. هذا الكتاب القيم الحافل يتناول الحضارة تناولا شاملا من الناحية العملية والآثارية أكثر من الناحية النظرية العلمية ثم ببعض كتابات مصطفى السباعي رحمه الله، وكذا للمعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي مقره بأمريكا أيضا اهتمام خاص بالموضوع في منشوراته: يتناول منشوراته القضية من شتى الزوايا تناولا حديثا معرفيا، منهجيا، فلسفيا؛ كما خرج بين منشوراته كتاب **العالمية الإسلامية الثانية محمد أبو القاسم حاج حمد** الذي تناول الموضوع من ناحية أخرى حاول المؤلف فيه أن يثبت أن البديل الوحيد لهذه الحضارة المعاصرة هو الإسلام فقط حيث يقول: سيلد القرآن من جديد أمة تحمل إلى العالم نهجا حضاريا كونيا بديلا[1]. إلى جانب كتابات أخرى غيرها. بينما لا ننسى ما يحتوي عليه من المقالات القيمة والكلمات المفيدة حول الحضارة الإسلامية كتاب **الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم** الذي يقع في مجلدين من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

---

١) أسامة خليل، العالمية الإسلامية الثانية (نقد وآراء)، التجديد (مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، عدد ١، سنة ١٤١٧/١٩٧٧، ص ١٤٩.

فمع أننا صرفنا أيضا شيئا من الجهد في استنباط نظرة الإسلام الحضارية من خلال أسماء سور القرآن الكريم ولكن نرى أن الحضارات لا تؤسس بالنظرات العلمية وبالبحوث الأكاديمية عن الحضارة بل الذي يؤسس الحضارات ويرسخها هو أخلاقيات الأمم الفاضلة وعقليتها البنائة، المبدعة، النشيطة، الواعية. فإلى جانب تلك العناصر الحضارية التي سنذكرها إن شاء الله. إن هذه المواصفات التي ذكرناها للعقلية الحضارية للأمم: **البنائية، والإبداع، والنشاط، والوعي** هي التي تؤسس الحضارات وهي التي تلعب الدور الأكبر في بنائها، وهي التي تستثمر تلك الطاقات الحضارية لأمة ما وتحولها إلى واقع حضاري ملموس. وهي التي لها المفعول الطيب في كسب الحضارات القوة والمقاومة ضد الأحداث التي تسبب الضعف والوهن. وإذا وجدت هذه المواصفات في عقلية أمة ما بنت حضارتها على أحسن صورة وأكملها إذا شاء الله لها ذلك، وحتى وإن لم يكن لديها أي علم بأصول الحضارة وفصولها النظرية وفلسفتها الفكرية، وحتى ولو لم تسمع بكلمة الحضارة أبدا. كما أسس أسلافنا تلك الحضارة العظيمة مع أن العلم النظري عن الحضارة ما كان موجودا لديهم.[1]

---

١) انظر لفقه التحضر الإسلامي (كما يقول الكاتب أو للمواصفات التي تأتي بالاستقلال الحضاري كما نقول) عبد المجيد النجار، الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي مقال نشر في مجلة التجديد التي نشرتها الجامعة الإسلامية بماليزيا، عدد١ سنة ١٤١٧/١٩٧٧، ص ٨٨-١٢٤.

فنرى أن واجب علماء المسلمين ومنوريهم وكتابهم ومؤلفيهم بدلا من صرف طاقاتهم الفكرية والعقلية على سرد الجانب النظري للحضارة هو أن يوجهوا جهودهم ويكثفوا شهودهم على واقعيات الأمة و كيف يتسنى لهم أن ينشئوا في هذه الأمة أمة تحمل مواصفات العقلية الحضارية - التي ذكرناها - المتوجهة إلى واقعيات الحياة؟ فطالما لم ندخل في ساحة إيجاد العقل المنجز، المبدع، البناء لدى المسلمين، وطالما لم يتحل المسلمون بعقيدة التوحيد الصافية، وطالما لم يصادق قول المسلمين عملهم، وعملهم قولهم في اتخاذ كتاب الله منهج حياة، وطالما لم ندخل في مجال تحلية عامة الناس - كل حسب مقدرته - بالتفكير في رفع مستوى الأمة العقدي، العملي والعلمي والتفكيري وطالما لم نخرج من الدائرة الضيقة لـ"أنا" إلى الدائرة الواسعة لـ"نحن" لا يتيسر لنا بناء حضارتنا من جديد و اللحاق بالآخرين أبدا. وأما تلك المعلومات الأكاديمية الواسعة والتدقيقات العلمية الفسيحة والتحليلات الفلسفية الوفيرة عن فوائد الحضارة وقواعدها وأصولها وفصولها فلا تسمن ولا تغني من جوع إذا لم يصاحبها وجود تلك العقلية التي سردنا مواصفاتها في عامة أفراد الأمة، ولا تفيد سوى إيجاد وعي طفيف لدى بعض خفيف من أفرادها في الثقافة الحضارية فقط. فعندئذ ليوجه المهتمون بالأمر جميع طاقاتهم الذهنية وقدراتهم العلمية ومواهبهم الفطرية وقابلياتهم الدعوية وأنشطتهم التربوية إلى "كيف ننشأ في هذه الأمة جيلا يعتز بكتابها وعقائدها وتاريخها وجميع قيمها، جيلا لا يحس

في قرارة نفسه بمركب النقص تجاه الآخرين، جيلا أبي النفس وعزيزها، سمي الروح، كريم الطبع، رفيع السجية، عزمه قومه، و همته أمته، تفكيره وتذكيه ليس محصورا في ثالوث الحضارة المعاصرة: الجيوب والبطون والفروج؛ بل تحمل همة تطاول الشم الراسيات في رفعتها: تحاول وتجد في إنقاذ هذه الإنسانية البائسة من مخالب الحضارة المعاصرة، جيلا له طموحه وتطلعاته ومشاريعه ومخططاته نحو المستقبل فيعد له عدته قبل أن يستقبله هو بقضه وقضيضه وبهذا الانفتاح الطيب نكون بانين للإنسان الذي يصنع "الحضارة" من جديد. فليصرف جل الجهود إلى "كيف نوجد لدى عامة أفراد الأمة تلك العقلية التي كانت متوفرة لديها ردحا[1] من الزمن فيما مضى"؟ فإن أكثر ما تعاني الأمة من فقدانها في هذه الفترة التي ناخ عليها كابوس الفقر والتخلف هو العقلية الواعية المنتشرة لدى جميع أبناء الأمة، لا النظرات الحضارية وفلسفاتها.

وعملنا هذا وإن لم يكن خطة عملية ومشروعا تنفيذيا عن هذا الأمر لأنه لا يبحث عن "كيف نكون" أو عن "كيف كنا" قدر ما يبحث عن "كيف كائن" ولكن ستجد فيه إن شاء الله بين فينة[2] وأخرى مسا لطيفا ب"كيف نكون" كما ستجد فيه حضا وحثا على بعض الاستعدادات الحضارية الضرورية لمستقبل حضاري مشرق. وذلك الاستعداد والتطلع نحو المستقبل المشرق أهم ما فقدناه نحن المسلمين منذ

---

١) ردحا بفتح الراء والدال أي طويلا.

٢) الفينة: الساعة والحين.

قـرون فـإن الغـرض الـذي نشـدناه في التقـاط نظـرة القـرآن الحضاريـة الشمولية من خلال أسماء سوره هو أولا بيان جانب من جوانب جمال القرآن ومحاسنه بالإعراب عن تلك المناسبة اللطيفة والموائمة المنيفة بين الاسم والمسمى في أسماء السور وبيان الوآم والالتآم بين أجزاء مجموعة أسماء السور ككونها كلا له أجزائه ومحدداته ودلالاته المجموعية والأجزائية من ناحية أخرى وثانيا الإسهام في إيجاد هذه العقلية المبدعة المستلهمة من القرآن لدى المسلمين من جانب وإيجاد روح الطموح والتطلع إلى مستقبل مشرق لديهم من جانب آخر. فلعلهم يجدون فيه من خلال المحاور الثلاثة ومضامين كل محور منها حافزا لهم إلى شيء من التهيء للمستقبل.

فنرجو من الله سبحانه أن يكون هذا العمل المتواضع خطوة صغيرة إلى بعض ما نريد الوصول إليه من ذلك الهدف المنشود والله هو المسؤول أن ينفع به وهو الكريم المنان ذو الفضل والإحسان، وعليه التكلان في البدء والختام.